صرخة في واد ...

بقلم: عبد الرزاق العائش

اجابة لدعوتك ايها الاديب المستنجد ، وتأييداً لتوجيهك الموجه المعقول، جئت بكلمتي هذه لأضم صوتي الى صوتك اذ توسمت فيك حب الخير والطموح الى الاصلاح . إلا اني — قبل كل شيء — أود ان اداعبك مداعبة بريئة لحتمها المودة وسداها الاصلاح . فاصرح لك بأن كلمتك الممنونة (توجيه . . .) التي نشرتها « الهاتف » الغراء في عددها المرقم ٤٢١ ذاهبة كما ذهبت مئات أمثالها أدراج الرياح كاية (صرخة في واد . . .) حيث لم تجد اذناً صاغية واعية تصغي لصوت الواجب وتعي ما يقول وإلا ليس من المنطق ان تتقبل « الفيحاء » الابية عن طيب خاطر مايكال لها بين حين وآخر من تقريع وتأنيب فلم تبز ثائرتها للذود عن كرامتها .

لقد رميت امك الحنون بالخمول وما شابهه كما يرميها الغريب القذي لا يهمه امرها ان قامت أو قعدت . . قد يجد الغريب بعض العذر لكن ، ما عذرك ايها المواطن (وصاحب الدار ادرى بالذي فيها) نعم يجد الغريب بعض العذر عندما يدخل معرض الفيحاء الفسيح و يستعرض محتوياتها فلم يجد بينها (مزمار داود) يصدح في شعبة الموسيقى ، ولا (ريشة روفائل) تمرح في شعبة الرسم ، ولا (قلم ابن مقلة) يرفل في شعبة الخط ، ولا (خيال شكبير) يرفرف على قاعة المحاضرات . ولا ولا . . . الخ فيعزى السبب الى خمول البصر بين وجودهم فما عذرك انت ؟ هل فكرت يوما ما بان تبحث عن السبب الذي ادى بهذه البلدة اللامعة المجد الى هذا الانحطاط حتى خارت قواها وغدت فريسة لاضعف مخلوق ؟ هب انك فكرت فهل اهتديت الى العلاج الناجع ؟ وعلى فرض انك فكرت واهتديت فهل سلكت الى العلاج سبيلا فوجدت الدواء سهل المنال ؟ . . لا اخالك مجيبي على هذه الاسئلة جوابا موجباً يحوز الرضى والقبول .

انا لا انكر ان « البصرة » اصبحت بحالة يرثى لها لا من ناحية الادب فحسب بل من جميع نواحي التقدم . لكن الشيء الذي انكره هو — نسبة الخمول الى البصريين دون مبرر . فكأنما هم انفسهم اختاروا هذا المصير المؤلم طوع ارادتهم ، بينما الحقيقة تخالف هذا الظن الخاطئ ، فكم وكم في زوايا البصرة وخباياها من عباقرة افذاذ في كل فن لو سنحت لهم الفرصة لبذوا اولئك القطاحل بمواهبهم بفضل ما زودهم به عصر النور من فنون جميلة ، لكن ! أنى لهم الظهور على مسرح هذه الحياة الصاخبة (طالما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)

هلم معي ايها الاديب البصري لنحلل هذه التربة السعيدة التي كانت في يوم ما تربة صالحة لانماء العلم والفن تربة اسلافنا الامجاد الذين وجدوها غنية بعناصر العبقرية والنبوغ فبثوا فيها بذور الادب وسقوها بفيض من مواهبهم حتى نمت وافرعت وأتت اكلها كل حين مراراً ، لعلنا نقف على العوامل التي صيرتها صعيداً جرزاً لا تنبت (ان وجد فيها نبت) سوى العوسج والقتاد ، واذا ما اهتدينا الى تشخيص الداء وتهيأت لنا اسباب الشفاء هان علينا العلاج و بعدئذ اذا تقاعس البصريون عن تعاطي الدواء الناجع ابحنا لكل ناقد ان يكيل لهم ما يشاء من قوارص الكلم .

ومتى راقك ان تلج باب البحث لمعالجة هذا الموضوع تجدني ومئات امثالي رافعين مشاعل الهداية الى الداء الدفين في هذه المفازة الشاسعة ، وإلا فكلانا احرى باللوم واجدر . وخير لنا ان ندع اخواننا ينعمون بمادياتهم لانهم يعتبرون عصر النور عصر مادة لا عصر معنى والسلام .

بصره — عبد الرزاق العائش

مكتبة الرضى في النجف

لصاحبها عبد النبي الشريفي

تباع فيها مجلة البيان وسائر الكتب والمجلات العربية